مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at: http://scientific-journal.sustech.edu/

الإمام الترمذي وجهوده في علم الجرح والتعديل (تطبيقاً على كتابه الجامع الصحيح)

سعد الدين منصور[1] – محمد سيف الإسلام[2]

المستخلص

إنّ مكانة الإمام الترمذي في الجرح والتعديل، وفي تصحيح الأحاديث وتحسينها لا تنحط درجة عن الأئمة الآخرين المتقدمين، وفي عصرنا الراهن غاب هذا الأمر عن كثير من طلبة الحديث وحتى لو اطلع أحدهم على حكم الترمذي بدأ يقارنه بحكم المعاصرين؛ مما دفع الباحثين لكتابة هذا البحث وإلى ضرورية إبراز مكانة الإمام الترمذي في "علم الجرح والتعديل"، وتفوق كتابه "الجامع السنن" بين كتب السنة. وتوصلا إلى نتيجة أن الإمام الترمذي من هؤلاء الأئمة الذين يقتدى بهم في الحديث وعلومه، وأنه كان من المعتدلين في الحكم على الرواة بالتعديل والجرح، وعده من المتساهلين، والقول فيه: "أنه لا يعتمد على تصحيحه وتحسينه" مما لا يستحسن من قائله، والأئمة يعتمدون عليه فيما تفرد به وفيما لم يتفرد به ، وكتابه "الجامع" ثالث الكتب الستة، ويعد كتابه لزوماً من المصادر الأصيلة القديمة ودراسة تطبيقية ل "علم الجرح والتعديل".

ABSTRACT:

ImÉm al-TirmidhÊ one of the retainers who has contribution in the field of impugnment and validation of al-hadÊth' narrators. This research aims to mention the remarkable place of ImÉm al-TirmidhÊ in “Al-jarÍ wa al-taÑdÊl”, and the superiority of his “JÉmiÑ". The researchers came up with some conclusions. The most important outcome is that ImÉm al-TirmidhÊ is one of them who is followed in the field of al-hadÊth and its sciences. Therefore, the scholars of al-hadÊth gave value for his assessment. We can find his book (JÉmiÑ) as a main source for impugnment and validation (al-jarÍ wa al-taÑdÊl) of al-hadÊth' narrators according to his own assessment. His “JÉmiÑ” is the third position in the six books of al-ÍadÊth. Moreover, this view: "do not rely on his purification for al-ÍadÊth” is not satisfactory from its narrator. The Scholars of al-hadÊth rely on the opinion of ImÉm al-TirmidhÊ.

الكلمات المفتاحية:

الرواة – تصحيح الحديث – أئمة الجرح والتعديل.

1- قسم دراسة القرآن والسنة- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا- بريد الكتروني- ahmad7009@yahoo.com

2- طالب دكتوراه،بقسم دراسة القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بريد الكتروني: saifulislamazhari2012@gmail.com

المقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعروف بالجود والإحسان، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة أدخرها يوم العرض على الميزان، وأشهد أن سيدنا وحبيب ربنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، المنتخب من ولد عدنان صلى الله تعالى عليه وعلى عترته الطاهرين، وصحبه الأكرمين ما اتفق الفرقدان[1] واختلف الجديدان[2].

وبعد! فإن السنة النبوية الشريفة من حيث وجوب العمل بها فهي والقرآن الكريم في مرتبة واحدة ومن حيث أنها مبينة وشارحة مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الإسلامي وكانت ولا تزال بحمد الله تعالى محل عناية المسلمين. وقد برز هذا الاهتمام منهم جليا في جوانب مختلفة، تكشف عن مدى عنايتهم الفائقة بها، واهتمامهم بها رواية ودراية. وعلم الجرح والتعديل من أعظمها شأنا، وأجلها قدرا وأبعدها أثرا، إذ هو "علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم، بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ"[3]، وبه وعلى أساسه يتميز صحيح الحديث من سقيمه، ويعرف به المقبول من المردود.

ومن أبرز وأشهر العلماء المحدثين الذين برزوا في هذا العلم وألفوا فيه: محمد بن سعد في كتابه (الطبقات)، ويحيى بن معين في كتابه (معرفة الرجال)، وأحمد بن حنبل في مؤلفاته، والبخاري في كتابيه (الضعفاء)، و(التاريخ)، والترمذي في كتابيه (الجرح والتعديل)، و(الجامع)، والنسائي في كتابه (الضعفاء والمتروكين)، وابن أبي حاتم الرازي في كتابه (الجرح والتعديل)، وابن حبان البستي في كتابه (الثقات)، وابن عدي في كتابه (الكامل)، والدارقطني في كتابيه (العلل)، و(كتاب الضعفاء والمتروكين)، والذهبي في كتابه: (ميزان الاعتدال)، وابن حجر في كتبه منها (لسان الميزان)، وغيرهم.

والإمام الترمذي من الذين يقتدى بهم في علم الحديث، ومن أولئك الحفاظ الذين كان لهم كلام في الجرح والتعديل. وأكبر دليل عليه كتابه الماتع "الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل".

مشكلة البحث: قد أحس الباحثان بضرورة إبراز مكانة الإمام الترمذي في "علم الجرح والتعديل"، وتفوق كتابه "الجامع السنن" بين كتب السنة بعد أن أخضعاه لميزان النقد والمناقشة العلمية لعدم إنزال هذا الإمام منزله في "علم الجرح والتعديل" من بعض المنتسبين إلى علم الحديث في عصرنا.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إبراز مكانة الإمام الترمذي في علم الجرح والتعديل، ومكانة كتابه بين كتب السنة.

أهمية البحث: تظهر ظهورًا تامًا وتتضح وضوحاً جليًا أهميةُ البحث من جانب أنه بحث حديثي علمي يتعلق بالجرح والتعديل الذي عليه مدار الحديث قبولاً ورداً ، وذو صلة وثيقة بجامع الترمذي، بل هو مائدته ومورده ومصدره.

منهج البحث: اختار الباحثان المنهج الوصفي لاقتضاء طبيعة البحث ذلك.

([1]) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا؛ ولذا يهتدى به وهو المسمى (النجم القطبي)، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما فرقدان وولد البقرة (ج) فراقد. انظر: إبراهيم مصطفى وغيره (د.ت) المعجم الوسيط (د.ط) ج2، دار الدعوة، مصر المحروسة، ص786.

([2]) الجديدان: اللَّيْل وَالنَّهَار. انظر: المرجع نفسه، ج1، ص110.

([3]) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (1941م/1363هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (د.ط) ج1، مكتبة المثنى، بغداد، ص582.

الدراسات السابقة: تصفح الباحثان كتبًا يمكن أن يستفيدا منها من جوانب عديدة كدراسة سابقة. ومن تلك الكتب: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين[4] لنور الدين عتر، والتعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف [5] لمحمود سعيد ممدوح، والحديث الحسن وآراء المحدثين فيه[6] لخالد بن منصور الدريس.

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان: الإمام الترمذي من هؤلاء الأئمة الذين يقتدى بهم في الحديث وعلومه، وإنه كان من المعتدلين في الحكم على الرواة بالتعديل والجرح، وعده من المتساهلين والقول فيه: بأنه لا يعتمد على تصحيحه وتحسينه مما لا يستحسن من قائله، والأئمة يعتمدون عليه فيما تفرد به وفيما لم يتفرد به عبر العصور، وكتابه "الجامع" ثالث الكتب الستة، ويعد كتابه لزوماً من المصادر الأصيلة القديمة ل "علم الجرح والتعديل"، وبذا يكون دراسة تطبيقية لهذا العلم.

التعريف بالترمذي وإبراز حياته العلمية:

نتناول هنا نبذة يسيرة عن حياة الترمذي من عدة جوانب، ونسلط الضوء علي دراسته العلمية ورحلاته وشيوخه وتلاميذه وتصانيفه.

اسمه ونسبه وولادته ووفاته: هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك السُّلمي الضرير البُوغِي الترمذي. ولد سنة تسع ومائتين، وتوفي ب"ترمذ" ليلة الاثنين الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين[7].

دراسته العلمية ورحلاته وشيوخه وتلاميذه وتصانيفه:

دراسته العلمية ورحلاته:

لا يوجد بين أيدينا توقيت لمراحل حياة أبي عيسى، فلا نجد بياناً عن بدء تلقيه عن الشيوخ فى العلم ورحلته فى البلاد. والذي يدلنا عليه الاستقراء أن الترمذي بدأ طلب العلم ورحلته حوالي سنة خمس وثلاثين ومائتين، وقد جاوز العشرين من عمره، لأنا نجده روى بالواسطة عن شيوخ توفوا قبل هذا التاريخ: كعلي بن المديني المتوفى بسامراء سنة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير الكوفي سنة أيضا، وكذلك روى بالواسطة عن إبراهيم بن المنذر المدني المتوفى سنة . وأقدم شيوخه وفاة: محمد بن عمرو السواق البلخي توفى سنة، ثم محمود بن غيلان من مرو وتوفى سنة ثم قتيبة بن سعيد المدني توفي . مما يدل على أن تلقيه العلم ورحلته إليه كان في ذلك الوقت حوالي سنة خمس وثلاثين[8].

شيوخه: أدرك الترمذي كثيراً من قدماء الشيوخ وسمع منهم، وكان عصره يعد عصر النهضة العلمية العظيمة

([4]) عتر، نور الدين (1390هـ-1970م) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (ط1)، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة.

([5]) محمود سعيد ممدوح (1421هـ-2000م) التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف (ط1)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دولة الإمارات العربية المتحدة.

([6]) خالد بن منصور الدريس (1426هـ-2005م) الحديث الحسن لذاته ولغيره (ط1)، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض.

([7]) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (د.ت) جامع الأصول في أحاديث الرسول (ط1)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وغيره، ج1، (مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان، مصر، ص193؛ وأيضا: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (د.ت) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (د.ط)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص265.

([8]) عتر، نور الدين (1390هـ-1970م) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، ط1، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص12.

في علوم الحديث، ولذلك "طاف البلاد وسمع خلقاً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين"[9].

وشارك البخاري في كثير من شيوخه، منهم طائفة حدّث عنهم الأئمة الستة وهم تسعة فقط: محمد بن بشار بُنْدَار، ومحمد بن المثنى أبو موسي وزياد بن يحيى الحساني، وعباس بن عبد العظيم العنبري، وأبو سعيد الأشجُّ عبد الله بن سعيد الكندي ، وأبو حفص عمرو بن علي الفَلَّاس، ويعقوب بن إبراهيم الدَوْرَقي، ومحمد بن معمر القيسي البَحْراني، ونصر بن علي الجَهْضَمي [10].

وكان ممن سمع منهم الترمذي: قتيبة بن سعيد ، وأبا مصعب، وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وإسماعيل بن موسى السدي، وسويد بن نصر، وعلي بن حجر، ومحمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب ، وعبد الله بن معاوية الجمحي، وطبقتهم، وتفقه في الحديث على البخاري[11].

بل هو تلميذ الإمام البخاري وعلى يديه تخرّج، وعنه أخذ علم الحديث، وتفقه فيه ومرن بين يديه، وسأله واستفاد منه، كما أقر قائلاً: "وَمَا كَانَ فِيهِ –جامع الترمذي– من ذكر الْعِلَل فِي الْأَحَادِيث وَالرِّجَال والتاريخ فَهُوَ مَا استخرجته من كتب التَّارِيخ، وَأَكْثر ذَلِك مَا ناظرت بِهِ مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل، وَمِنْه مَا ناظرت بِهِ عبد الله بن عبد الرَّحْمَن وَأَبا زرْعَة"[12].

تلامذته: وهذا الإمام الكبير نجده قد نبغ فى العلوم، وبلغ مبلغا عظيما قدمه على أقرانه، وقد جمع علم حديث زمانه إلى عبقرية الأئمة الذين تتلمذ على يديهم، فلا غرو أن يصبح الترمذي مقصد العلماء وطلاب الحديث يفدون عليه للسماع منه، ومنهلا يرحلون إليه لينهلوا من الحديث، فتتلمذ له الكثيرون، وأستفاد منه الجم الغفير، وروي عنه كثيرون، منهم: أبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزي التاجر، والهيثم بن كليب الشامي، ومحمد بن محبوب أبو العباس المحبوبي المروزي، وأحمد بن يوسف النسفي، وأبو الحارث أسد بن حمدويه، وداود بن نصر بن سهيل البزدوي، وعبد بن محمد بن محمود النسفي، ومحمود بن نمير وابنه محمد بن محمود، ومحمد بن مكي بن فوج –نوح–، وأبو جعفر محمد بن سفيان بن النضر النسفيون، ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروي، وآخرون[13].

تصانيفه: وصفه العلماء بأنه "صاحب التصانيف"، وكان المؤرخون يعرفونه بها، ويشيدون بجودتها، ويستدلون على إمامته بها، وقد وجدنا له عدة مؤلفات منها:

1–كتابه "الجامع" المشتهر باسم "سنن الترمذي". 2– الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية، المعروف بشمائل الترمذي[14]. 3– العلل الكبير[15]، وهذا غير كتابه العلل

([9]) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (1326هـ) تهذيب التهذيب، ط1، ج9، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ص387، رقم 638.

([10]) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (1426هـ–2005م) سنن الترمذي، د.ط، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، ج1، دار الحديث بالقاهرة، مصر، ص65.

([11]) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(1419هـ– 1998م) تذكرة الحفاظ، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص154.

([12]) الترمذي (د.ت) العلل الصغير (د.ط)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص738.

([13]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج9، ص387، رقم 638.

([14]) انظر: هذين الكتابين تداولتهما المطابع فى بلاد العرب و العجم.

([15]) الترمذي (1409ه) العلل الكبير (ط1)، تحقيق: صبحي السامرائي وغيره، عالم الكتب– مكتبة النهضة العربية، بيروت.

الذي ذكره في آخر كتابه وهو المسمى ب"العلل الصغير". 4- الأسماء والكنى[16]. 5- كتاب "الزهد" و"المفرد"[17]. 6- أسماء الصحابة[18]. 7- كتاب فى الجرح والتعديل[19].8- كتاب فى الآثار الموقوفة[20]. 9-الرباعيات فِي الحَدِيث[21]. 10-التاريخ[22].

مكانة الترمذي في علم الجرح والتعديل، وتفوق كتابه "الجامع"

هنا لأمور مهمة تظهر من خلالها مكانة الترمذي في علم الجرح والتعديل وقيمة "الجامع" ورتبته بين كتب السنة.

مكانة الترمذي في علم الجرح والتعديل :

الإمام الترمذي ذو قدم راسخ في علم الجرح والتعديل، وأكبر شاهد عليه كتابه "الجامع"، و"العلل". ومن يطلع على كتابه"الجامع" يعرف أنه أكثر **فيه** من الكلام فى الرواة جرحا وتعديلا كما لم يفعله في غيره من كتبه.

فهو رحمه الله تعالى أتي في "جامعه" بعبارات وألفاظ لبيان حال الراوي، هل هو من ذوي العدالة والضبط؟ أم أنه قاصر الضبط، وما مدي قصوره؟ ثم ما مدى عدالته فى الاحتياط والورع؟ هل هو مستقيم السيرة سليم السريرة؟ أم مطعون فيه بما يخل بالعدالة التي هي **أحد الركنين الأساسين** في راوي الحديث قبل كل شيء؟ **والركن الثاني هو الضبط.**

وقد اشتهرت تلك الألفاظ بين المحدثين، وأصبحت اصطلاحات يتداولونها، لها دلالتها الخاصة على منزلة الراوي، ورتبة حديثه.

الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي أول من حرر مراتب التعديل والجرح. فقد تتبع كلام الأئمة فى الرجال وعباراتهم وجعلها على مراتب بحسب دلالاتها، ثم جاء بعده **من** العلماء **من** يتبعه ولم **يزد** على تلك المراتب، ومنهم من زاد عليها مراتب آخرى حسبما تبدي **له** مراعاته فى التقسيم.

أما مراتب التعديل فعند ابن أبي حاتم أربعة. وقد تبعه على هذا التقسيم الإمام ابن الصلاح ، ثم جاء الذهبي والعراقي فزادا مرتبة أخري وهي أعلى من المرتبة الأولى، ثم زاد ابن حجر العسقلاني مرتبة أخرى أعلى من الأولى عند الذهبي والعراقي، وتبعه على ذلك تلميذه السخاوي ، وبذلك أصبحت مراتب التعديل ستة.

وأما مراتب الجرح فقد جعلها ابن أبي حاتم أربعة أيضا. ووافقه على ذلك ابن الصلاح. وزاد الحافظ الذهبي والعراقي مرتبة خامسة، وخالفَا في تقسيم المراتب فجعلا المرتبة الرابعة عند ابن أبي حاتم مرتبتين:

الأولى: الألفاظ التي فيها جرح شديد دون التصريح بالتكذيب كقولهم "ذاهب الحديث" وأمثاله.

الثانية: الألفاظ التي فيها نسبة الكذب للراوي بالتصريح كقولهم "فلان كذاب". أما الحافظ ابن حجر فقد زاد مرتبة هي أسوأ من المرتبة التي أضافها العراقي، وتبعه الحافظ السخاوي. فأصبحت مراتب الجرح أيضا ستة. وللمزيد

([16]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج9، ص389، رقم 638. وهذا الكتاب والكتب التي بعده لا أعرف عنها أنها مخطوطة أم مفقودة.

([17]) المرجع نفسه.

([18]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (1408هـ- 1988م) البداية والنهاية (ط1)، تحقيق: علي شيري، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 77.

([19]) المرجع نفسه.

([20]) نور الدين عتر، الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين، ص29.

([21]) الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (د.ت) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (د.ط)، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ص19.

([22]) المرجع السابق.

يمكن الرجوع إلى "فتح المغيث"[23] للسخاوي للوقوف على تفصيل تلك المراتب وألفاظها.

وقد تتبعنا المعدلين والمجروحين من كلام الترمذي في "الجامع" فرأينا عدد المعدلين واحدا وثلاثين ومائة (131) راوياً بعد حذف المكرر. ووجدنا كذلك بعد الفحص ثمانية وخمسين ومائة (158) راوياً جرحهم الإمام الترمذي.

وقد رأينا أن الترمذي في "جامعه" استخدم ألفاظ التعديل والتجريح في الرواة، ويمكننا أن نجملها ونقسمها حسب المراتب التي استقر عليها العلماء. فهو –رحمه الله تعالى– إمامهم وكتابه منهلهم ليس للألفاظ فقط، بل لتطبيق تلك الألفاظ ووضعها في مواضعها التي تليق بها. وإليك بعض الألفاظ التي استخدمها الترمذي من كل مرتبة من مراتب التعديل والتجريح مع التطبيقات :

أما مراتب التعديل:

فالمرتبة الأولي: اتصاف الراوي بصيغة أفعل التفضيل. وجدنا الترمذي قد استخدم كلمة "أثبت" في هذه المرتبة كما قال: "حدثنا أبو بكر العطار البصري، عن ابن المديني قال: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: «إذا حدثت عن منصور فقد ملأت يدك من الخير لا ترد غيره» ثم قال يحيى: ما أجد في إبراهيم النخعي، ومجاهد أثبت من منصور وأخبرني محمد، عن عبد الله بن أبي الأسود قال: قال عبد الرحمن بن مهدي: منصور أثبت أهل الكوفة"[24].

والمرتبة الثانية: تكرار أحد ألفاظ التعديل: كقول الترمذي: "وَإِسْرَائِيلُ هُوَ ثقة ثَبْتٌ فِي أَبِي إِسْحَاقَ"[25].

والمرتبة الثالثة: تعديل الراوي بما يفيد عدالته وكمال ضبطه، من غير تأكيد ولا مبالغة، ويعبر عن اجتماع هذين الوصفين ب"الثقة"، وهو اللفظ شائع في الكتاب، وأكثر ألفاظ التعديل وروداً في "الجامع".

فمن ذلك حكمه في إبراهيم بن أبي الوزير البصري كقوله: "حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير البصري ثقة"[26].

والمرتبة الرابعة: استعماله مثل كلمة "صدوق وربما يهم" كما قال: "قال محمد بن إسماعيل: "ليث بن أبي سليم صدوق وربما يهم في الشيء"[27].

والمرتبة الخامسة: قول الترمذي "شيخ" كما في "جامعه": "وأبو لبابة هذا شيخ بصري"[28].

والمرتبة السادسة: قوله "صالح": "وعبد الله بن منير مروزي رجل صالح"[29].

([23]) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (1424هـ/2003م)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ط1)، تحقيق: علي حسين علي، ج2، مكتبة السنة، مصر، مراتب التعديل والتجريح، ، ص112– 134.

([24]) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (1426ه/2005م) سنن الترمذي (د.ط)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، دار الحديث بالقاهرة، مصر، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي اشْتِرَاطِ الوَلَاءِ وَالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ، ج3، ص361، رقم1256؛ وأبواب السفر، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ البُزَاق فِي المَسْجِدِ، ج2، ص357، رقم571؛ وأَبْوَابُ العِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْظِيمِ الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج4، ص460، رقم2659؛ وأَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب، ج5، ص452، رقم3715.

([25]) المرجع السابق، أبواب النكاح، بَابُ مَا جَاءَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، ج3، ص264، رقم1101.

([26]) المرجع السابق، أبواب السفر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الصَّلَاةِ بَعْدَ المَغْرِبِ أَنَّهُ فِي البَيْتِ أَفْضَلُ، ج2، ص384، رقم 604.

([27]) الترمذي، سنن، أَبْوَابُ الأدب عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُخُولِ الحَمَّامِ، ج4، ص527، رقم2801.

([28]) المرجع السابق، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، ج5، ص27، رقم 2920.

وأما مراتب الجرح:

فالأولى: كقوله "ليس بذاك القوي": "وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي"[30].

والثانية: مثل قوله في "يزيد بن عياض": "ويزيد بن عياض ضعيف عند أهل الحديث"[31]. وهذه المرتبة أشد من السابقة.

والثالثة: وهذه المرتبة والتي تأتي بعدها قليلة جدا في "جامع الترمذي". ومن هذه المرتبة–الثالثة– استخدم الترمذي مثل قوله في عطاء بن عجلان: "وَعَطَاءُ بْنُ عَجْلَانَ ضَعِيفٌ ذَاهِبُ الحَدِيثِ"[32].

والرابعة: قال في مُحَمَّد بْن سَعِيدٍ الشَّامِيِّ "متروك": "وسمعت: محمد بن إسماعيل يقول: محمد القرشي هو: محمد بن سعيد الشامي وهو: ابن أبي قيس: وهو محمد بن حسان وقد ترك حديثه"[33].

ولم يخرِّج الترمذي شيئا من الأحاديث من أصحاب المرتبة الخامسة والسادسة. وقد يقال: أنه يوجد في "الجامع" لفظ "يكذب" من ألفاظ المرتبة الخامسة أطلقه في "زِيَاد بْن عَبْد اللَّه" نقلا عن وكيع كما قَالَ: قال وكيع: "زِيَادُ بنُ عبدِ اللَّهِ مَعَ شَرَفِهِ يَكْذب فِي الحديثِ"[34].

والصواب: أنه لم يثبت عن الإمام وكيع. قال الحافظ ابن حجر: "ووقع في جامع الترمذي في النكاح عن البخاري عن محمد بن عقبة عن وكيع قال: "زياد مع شرفه يكذب في_الحديث" والذي في تاريخ البخاري عن ابن عقبة عن وكيع "زياد أشرف من أن يكذب في الحديث" وكذا ساقه الحاكم أبو أحمد في الكنى بإسناده إلى وكيع وهو الصواب ولعله سقط من رواية الترمذي "لا" وكان فيه "مع شرفه لا يكذب في الحديث" فتتفق مع الروايات والله أعلم"[35].

فإن قال قائل: ولكنه خرج أحاديث من المرتبة الثالثة والرابعة من أمثال الكلبي والمصلوب وبسببه انحطت درجة "الجامع"، وألفاظ هذين المرتبتين من ألفاظ الجرح الشديد التي تساوي الاتهام بالكذب، وهي تطلق على من كثر خطؤه وفحش حتى غلب على حديثه الوهم، أو من كان متهما بالكذب، وهولاء لا يعتبر بحديثهم ولا ينظر فيه، بل يترك ولا يشتغل بالرواية عنهم. قال الترمذي في علل الجامع: "فَكل من كَانَ مُتَّهمًا فِي الحَدِيث بِالْكَذِبِ أَو كَانَ مغفلا يخطىء الْكثير فَالَّذِي اخْتَارَهُ أَكثر أهل الحَدِيث من الْأَئِمَّة أَن لَا يشْتَغل بالرواية عَنهُ"[36].

وهذه العبارة معناها أن لا يخرج الترمذي في "الجامع" حديثهم، ولا يروي عنهم. فكيف نجدهم فى "الجامع"؟

يجاب عنه: إذا ما نظرنا في رواية الترمذي عن هولاء، نجدها قليلة نادرة، وقد التزم بيان حالهم فلا يسكت عنهم، وإنما يروي من حديثهم ما كان معروفا من رواية غيرهم، فيخرّجه ليبين علته.

([29]) المرجع السابق، أبواب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْعِ الزَّكَاةِ مِنَ التَّشْدِيدِ، ج3، ص6، رقم617.

([30]) الترمذي، السنن، المرجع السابق، أبواب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ، ج3، ص33، رقم الحديث663؛ وأَبْوَابُ الأدب عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي التَّوْقِيتِ فِي تَقْلِيمِ الأَظْفَارِ وَأَخْذِ الشَّارِبِ، ج4، ص510، رقم 2759.

([31]) الترمذي، أبواب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي العَامِلِ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالحَقِّ، ج3، ص23، رقم 645.

([32]) المرجع السابق، أَبْوَابُ الطَّلَاقِ وَاللِّعَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي طَلَاقِ المَعْتُوهِ، ج3، ص322، رقم1191.

([33]) المرجع السابق، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، ج5، ص553، رقم 3549.

([34]) المرجع السابق، أبواب النكاح، بَابُ مَا جَاءَ فِي الوَلِيمَةِ، ج3، ص262، رقم 1098.

([35]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج3، ص377.

([36]) الترمذي، العلل الصغير، ص 739.

فمحمد بن السائب الكلبي روي حديثه عن ابن عباس عن تميم الداري رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾[37]... الآية في الوصية في السفر...ثم قال: "هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح..."[38]، وأعله بابن السائب هذا.

ثم أخرج الحديث من رواية ابن أبي زائدة عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصرا وقال: "هذا حديث حسن غريب وهو حديث ابن أبي زائدة"[39].

وكذلك الأمر في روايته عن محمد بن سعيد الشامي. روى عنه الحديث: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم» وأعله به ثم قال: "وقد روى هذا الحديث معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم». وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال"[40].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في "شرح علل الترمذي": "واعلم أن الترمذي- رحمه الله- خرج في كتابه الحديث الصحيح، والحديث الحسن، وهو ما نزل عن درجة الصحيح، وكان فيه بعض ضعف، والحديث الغريب.. [41]. والغرائب التي خرجها فيها بعض المناكير، ولا سيما في كتاب الفضائل، ولكنه يبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه.

ولا أعلمه خرّج عن متهم بالكذب، متفق على اتهامه حديثاً بإسناد منفرد إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من (طرق)، أو مختلفاً في إسناده، وفي بعض طرقه متهم. وعلى هذا الوجه خرّج (حديث) محمد بن سعيد المصلوب، ومحمد بن السائب الكلبي. نعم، قد يخرج عن سيىء الحفظ، وعمن غلب على حديثه الوهم، ويبين ذلك غالباً، ولا يسكت عنه"[42].

وذلك عمل جليل عظيم الفائدة، حيث يجمع الترمذي بين المنفعتين فيفيد قارئه معرفة الحديث أولاً، ثم العلة التي في بعض طرقه ثانياً. وبتنبيه الترمذي على علة الحديث من جهة ضعف الرواة في هذا الباب، يلتحق الحديث بالشواهد والمتابعات، ولا يعد مخرجا في الأصول.

ولا يكتفي الترمذي بمجرد النقل عن الأئمة عند الحكم على الرواة والحديث، بل إنه اجتهد في خلافاتهم ويبدي رأيه في الأمور المهمة حسبما يراه من الحاجة في كتابه. فمن ذلك أنه روى عن شهر بن حوشب في تسليم الرسول عن النساء: «أن رسول الله ﷺ مرّ في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم»، وأشار عبد الحميد بيده، ثم عقب الترمذي هذا الحديث بحكمه كعادته: "هذا حديث حسن"، قال أحمد بن حنبل: لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب،

([37]) سورة المائدة، الآية 106.

([38]) الترمذي، سنن الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ سورة المائدة، ج5، ص258، رقم 3059.

([39]) المرجع السابق.

([40]) المرجع السابق، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، ج5، ص252، رقم 3549.

([41]) أي عند الكلام عن الغريب وأنواعه.

([42]) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (1407هـ-1987م) شرح علل الترمذي (ط1)، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، ج2، مكتبة المنار بالزرقاء، الأردن، ص611.

وقال محمد بن إسماعيل : شهر حسن الحديث وقوى أمره، وقال: إنما تكلم فيه ابن عون ثم روى عن هلال بن أبي زينب عن شهر بن حوشب أنبأنا أبو داوود المصاحفي البلخي أخبرنا النضر بن شميل عن ابن عون قال: إن شهرا تركوه، قال أبوداوود: قال النضر: تركوه أي طعنوا فيه وإنما طعنوا فيه لأنه ولي أمر السلطان"[43].

فقد أراد الترمذي أن يبين حسن الحديث فحكى ثناء البخاري على شهر، وأنه تفرد ابن عون بجرحه، فيكون مخالفا للجمهور، وبين أن سبب جرحه هو أن شهرا ولي أمر السلطان، وهي إذا لم تقترن بمفسق ليست أمرا مخلا بالعدالة[44].

بل، وثقه كثيرون من كبار أئمة السلف أو أكثرهم فممن وثقه: أحمد بن حنبل كما مرّ آنفا ويحيى ابن معين وآخرون، وقال أحمد بن حنبل: ما أحسن حديثه ووثقه، وقال أحمد بن عبد الله العجلى: هو تابعى ثقة، وقال بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين: هو ثقة ولم يذكر بن أبى خيثمة غير هذا، وقال أبو زرعة: لا بأس به،... وقال يعقوب بن شيبة: شهر ثقة، وقال صالح بن محمد: شهر روى عنه الناس من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ولم يوقف منه على كذب"[45].

فكل ذلك يدل علي مكانته في علم الجرح والتعديل. فهو إمام كبير من أئمة الجرح والتعديل، ولما لا؟ وهو تتلمّذ في مدرسة إمام الدنيا أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخاري، وأخذ هذا العلم المهم منها كما سبق نقل إقراره بذلك مرارا وتكرارا.

ولهذا أكبَّ المحدثون يثنون عليه، ويبينوا مكانته في هذا العلم الشريف:

1. قال الإمام البخاري للإمام الترمذي: "ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي"[46].

هذه شهادة أمير المؤمنين في الحديث "البخاري" لتلميذه "الترمذي" **تخبرنا** عن مكانة هذا الإمام، ورسوخه في علوم الحديث الشريف.

2. وقال الإدريسي: "كان الترمذي أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ"[47].

نقول: قول الإدريسي "كان الترمذي ... يقتدى بهم في علم الحديث" خرج مخرج الحقيقة التي لا شك فيها. وقول البخاري الأسبق أقوى في الدلالة من قول الإدريسي وإن كان في قول البخاري إجمال وفي قول الإدريسي تفصيل والله أعلم.

1-وقال ابن : "أحد الْأَئِمَّة الَّذين يقْتَدى بهم فِي علم الحَدِيث صنف الْجَامِع والعلل تصنيف رجل متقن وَبِه كَانَ يضْرب الْمثل"[48].

2-وقال الإمام اللقاني : "هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي الضَّرير، أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في

([43]) الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص 58، رقم2697.

([44]) استفدنا من كتاب نور الدين عتر -حفظه الله تعالى- من كتابه "الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين"، الفصل الثالث، علوم الرواة فى الجامع، ص232-252.

([45]) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (1392هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2)، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص93.

([46]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج9، ص389، رقم 638.

([47]) المرجع السابق، ج9، ص388، رقم 638.

([48]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (د.ت)، اللباب في تهذيب الأنساب (د.ط)، ج1، دار صادر، بيروت، ص213.

علم الحديث، في القديم والحديث، صَنَّفَ "الجامع" و "العِلَل" تصنيف رجل متقن"[49].

3-وقال ابن خلكان : "الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث"[50].

فلما **كان** هذا شأنه- الترمذي- فقد ظهرت أمام العلماء والمحدثين إمامته في علوم الحديث عامة وفي الجرح والتعديل خاصة، ومن هنا أيضا تظهر ظهورا تاما وتتضح وضوحا جليا قيمة كتابه "الجامع" ورتبته بين كتب السنة.

تفوق "الجامع" ورتبته بين كتب السنة :

1- هو ثالث الكتب الستة في الحديث[51]. أما الذهبي فقد جعله بعد سنن أبي داوود فيما نقل عنه السيوطي : "انحطّت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داوود والنسائي لإخراجه حديث الْمَصْلُوْب[52] والْكَلْبيِّ[53] وأمثالهما»[54].

أما الحازميّ فقد جعل شرط الترمذي دون شرط أبي داوود بعد أن أقر بأن شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داوود كما قال في كتابه "شروط الأئمة الخمسة" عند بيان الطبقات: "والطبقة الرابعة قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري لأنهم لم يصاحبوا الزهري كثيرا وهو شرط أبي عيسى وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داوود؛ لأن الحديث إذا كان ضعيفا أو مطلعه من حديث أهل الطبقة الرابعة فإنه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة. وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبي داوود"[55].

وهذا الذي اعتذر به الحازمي والذهبي لانحطاط رتبة سنن الترمذي عن سنن أبي داود من أنه خرج أحاديث أصحاب الطبقات الرابعة مثل الكلبي والمصلوب موجود في سنن أبي داود أيضا، بل إنه فوق ذلك قد سكت عن

([49]) اللقاني، إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، برهان الدين المالكي (1432هـ/2011م) بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل (ط1)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ج1، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن ص 43.

([50]) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (1971م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ط1)، تحقيق: إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، ص278.

([51]) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1،ص559.

([52]) وهو محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض من السادسة مات سنة ست وأربعين (146هـ). انظر: ابن حجر(1406هـ/1986م) تقريب التهذيب (ط1)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ص479، رقم5901.

([53]) وهو محمد بن سعيد بن حسان بن قيس الأسدي الشامي المصلوب، ويقال له: ابن سعد [سعيد] بن عبد العزيز أو ابن أبي عتبة أو ابن أبي قيس أو ابن أبي حسان، ويقال له: ابن الطبري أبو عبد الرحمن وأبو عبد الله وأبو قيس [الدمشقي]، وقد ينسب لجده. قيل: إنهم قلبوا اسمه على مائة وجه ليخفى كذبوه. وقال أحمد بن صالح: وضع أربعة آلاف حديث. وقال أحمد: قتله المنصور على الزندقة وصلبه من السادسة (مات بعد المائة). انظر: المرجع السابق، ص480، رقم 5907. وسيأتي ذكرهما -إن شاء الله تعالى- في المبحث الثاني من الفصل الرابع .

([54]) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(د.ت) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (د.ط)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ج1، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص171.

([55]) الإسعردي، فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي، ص35.

حديثهم ولم ينبه عليه مثل حديث اسحاق بن أبي فروة وغيره. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت795هـ): "وقد شاركه أبو داود في التخريج عن كثير من هذه الطبقة، مع السكوت على حديثهم، كإسحاق بن أبي فروة، وغيره"[56].

فقد تساوى الكتابان من حيث التخريج عن الرجال، وبقى امتياز الترمذي بما ذكره الحازمي من أبلغية شرطه، وتقدمه على أبي داود، لأنه ينبه على هولاء الضعفاء ولا يسكت عنهم، فوق أنه إنما يروي عنهم ما رواه غيرهم ممن فوقهم بالإضافة إلى أنه يذكر من أحوالهم ما ذكرها الأئمة من قبله، وقد سكت أبو داود عن حديث جماعة منهم، فمن الإنصاف إذن ألا تنزل رتبة كتاب الجامع عن الثالثة. فيكون الكتاب الثالث تاليا للصحيحين[57].

وقال العلامة المباركفوري: "قلت: فيما قاله الحافظ الذهبي من انحطاط رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي عندي نظر، والظاهر هو ما في "كشف الظنون" من أنه ثالث الكتب الصحاح الستة، فإن الترمذي وإن أخرج عن المصلوب والكلبي وأمثالهما، لكنه بين ضعفه، فيكون حديث المصلوب وأمثاله عنده من باب الشواهد والمتابعات"[58].

2- ومن أهم المزايا التي تجعل "جامع الترمذي" يتفوق هي أن كتابه جامع للعلوم والفنون، وأهمها علم الجرح والتعديل.

قال الإمام ابن العربي المالكي: "اعلموا-أنار الله أفئدتكم- أن كتاب الجعفي[59] هو الأصل الثاني في هذا الباب، والمؤطأ هو الأول واللباب، وعليهما بناء الجميع كالقشيري[60] والترمذي. فما دونهما ما طفقوا يصفونه، بالأخذ في الكلام عليه مستوفى، يستدعي فراغا متصلا، وأمرا متطاولا، وهمما متشوقا، وليس فيهم مثل كتاب أبي عيسي حلاوة مقطع، ونفاسة منزع، وعذوبة مشرع، وفيه أربعة عشر علما، وذلك أقرب إلى العمل وأسلم: أسند وصحح، وضعف، وعدد الطرق، وجرّح، وعدل، وأسمى، وأكنى، ووصل، وقطع، وأوضح المعمول به، والمتروك، وبين اختلاف العلماء فى الرد والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم في تأويله. وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه، وفرد في نصابه. فالقاري له لا يزال في رياض مؤنقة، وعلوم متفقة متسقة، وهذا شيء لا يعمه إلا العلم الغزير، والتوفيق الكثير، والفراغ والتدبر"[61].

ومن تصفح "الجامع" يجد أن الإمام ابن العربي لم يبالغ في شيء مما وصف به كتاب الترمذي.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد: "الذي عندي أن الأقرب إلى التحقيق والأجرى على واضح الطريق أن يقال: إن كتاب الترمذي تضمّن الحديث مصنفاً على الأبواب وهو علم برأسه، والفقه علمٌ ثان، وعللَ الأحاديث ويشتمل على بيان الصحيح من السقيم وما بينهما من المراتب- علمٌ ثالث، والأسماءَ والكنى علمٌ رابع، والتعديلَ والتجريحَ خامسٌ، ومن أدرك النبي ﷺ ممن لم يدركه -ممن أسند عنه في كتابه- سادسٌ، وتعديد من روى ذلك الحديث سابعٌ. هذه علومه الجُمْلِيَّة، وأما

([56]) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ج2، ص 612.

([57]) نور الذين عتر، الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين، ص63.

([58]) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج1، ص288.

([59]) أي صحيح البخاري.

([60]) أي مسلم بن حجاج القشيري (ت261هـ)، صاحب "صحيح مسلم".

([61]) ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله (1417هـ/1997م) عارضة الأحوذي (ط1)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص10. وصححت العبارة وفقا لشيخ مشائخنا أحمد شاكر في مقدمته لجامع الترمذي، ج1، ص72.

التفصيلية فمتعددة بالجملة، فمنفعته كبيرة، وفوائده كثيرة"[62]. وقد أوصله ابن سيد الناس إلى العلم العاشر. قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس: "ومما لم يذكره ما تضمنه من الشذوذ وهو نوعٌ ثامن، ومن الموقوف وهو تاسع، ومن المدرج وهو عاشر، وهذه الأنواع مما تكثر فوائده التي تستجاد فيه وتستفاد عنه، وأما ما يقل فيه وجوده من الوفيات، أو التنبيه على معرفة الطبقات وما يجري مجرى ذلك، فداخلٌ فيما أشار إليه من فوائده التفصيلية"[63].

وهذه فنون الرواة والدراية معا مما يحتاجه أهل العلم.

وقال الشيخ إبراهيم البيجوري في "المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية": "ناهيك بجامعه الصحيح الجامع للفوائد الحديثية والفقهية، والمذاهب السلفية والخلفية، فهو كاف للمجتهدين، مغن للمقلدين" [64]. فالمجتهد لجامع الترمذي محتاج، والمقلد أيضا لا غنى له عن هذا الكتاب.

2-وقد أخبرنا الترمذي عن علو رتبة كتابه قائلا: "صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب -يعني الجامع- فكأنما في بيته نبي يتكلم"[65]. وهذه دلالة واضحة على أن الكتاب راجعه أئمة العصر في زمان الترمذي وشهدوا له بالقبول.

5- وقال أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الحق اليوسفي: "الجامع على أربعة أقسام قسم مقطوع بصحته، وقسم على شرط أبي داود والنسائي كما بينا وقسم أخرجه وأبان عن علته، وقسم رابع أبان عنه فقال: ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثا قد عمل به بعض الفقهاء"[66]. إذن معظم ما في جامع الترمذي أحاديث صحيحة بل تعتبر أحاديثه التطبيق العملي لعلم الفقه.

3-وقال الترمذي في "العلل الصغير": "جميع ما في هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين: حديث ابن عباس «أَن النَّبِي ﷺ جمع بَين الظّهْر وَالْعصر بِالْمَدِينَةِ وَالْمغْرب وَالْعشَاء من غير خوف ولَا سفر ولَا مطر»[67]، وحديث النبي ﷺ أنه قال: «إِذا شرب الْخمر فاجلدوه فَإِن عَاد فِي الرَّابِعَة فَاقْتُلُوهُ»[68]، وقد بينا علة الحديثين جميعا في الكتاب"[69].

وهذه دلالة أخرى على علو درجة أحاديث هذا الكتاب، سوى هذين الحديثين الذين بين الترمذي سبب عدم العمل بهما في كتابه العلل.

1-وقال أيضا: "وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجته من كتب التاريخ وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل ومنه ما ناظرت به عبد الله بن عبد الرحمن وأبا زرعة وأكثر ذلك عن محمد وأقل شيء فيه عن عبد الله وأبي زرعة ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل

([62]) السيوطي (1424ه) قوت المغتذي على جامع الترمذي (د.ط)، رسالة الدكتوراة – جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ج1، ص 22.

([63]) المرجع السابق.

([64]) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج1، ص282.

([65]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص154.

([66]) الذهبي، المرجع السابق.

([67]) الترمذي، سنن الترمذي، أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ، ج1، ص362، رقم187.

([68]) المرجع السابق، أَبْوَابُ الْحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، وَمَنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ، ج3، ص466، رقم1444.

([69]) الترمذي، العلل الصغير، ص736، ولم يذكر الترمذي رحمه الله تعالى حكماً للحديثين.

والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل "[70].

نقول: لما كان هذا شأن الترمذي في الحديث، ولما كان كتابه "الجامع" موضع اهتمام العلماء ومصدرهم للحديث عبر العصور، فكيف يوصف مثله بالتساهل، ويقال: أن ما يتفرد به الترمذي لا يعتمد عليه، ولا يعتمد على تحسينه وتصحيحه!!!

الخاتمة :

النتائج:

وقد أسفر هذا البحث عن عدة نتائج منها:

1. الإمام الترمذي من الأئمة الذين يقتدى بهم في الحديث وعلومه.
2. لقد كان من المعتدلين في الحكم على الرواة بالتعديل والجرح.
3. عدّ الإمام الترمذي من المتساهلين، والقول فيه: بأنه لا يعتمد على تصحيحه وتحسينه مما لا يستحسن من قائله، والأئمة يعتمدون عليه فيما تفرد به وفيما لم يتفرد به عبر العصور سلفهم وخلفهم.
4. كتابه "الجامع" يعد ثالث الكتب الستة من حيث الترتيب.
5. يعد كتابه لزوماً من المصادر الأصيلة القديمة ل "علم الجرح والتعديل".
6. كتابه "الجامع" دراسة تطبيقية ل"علم الجرح والتعديل".

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (1941م/1363هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (د.ط) ج1، مكتبة المثنى، بغداد.
2. عتر، نور الدين (1390هـ/1970م) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (ط1)، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة.
3. محمود سعيد ممدوح (1421هـ/2000م) التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف (ط1)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دولة الإمارات العربية المتحدة.
4. خالد بن منصور الدريس (1426هـ/2005م) الحديث الحسن لذاته ولغيره (ط1)، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض.
5. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (د.ت) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (د.ط)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (1995م) معجم البلدان (ط2)، ج1، دار صادر، بيروت.
7. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (د.ت) جامع الأصول في أحاديث الرسول (ط1)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وغيره، ج1، مكتبة الحلواني– مطبعة الملاح– مكتبة دار البيان، مصر.
8. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (1382هـ/1962م) الأنساب (ط1)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ج 2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
9. عتر، نور الدين (1390هـ/1970م) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (ط1)، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة.

([70]) المرجع السابق، ص738.

10. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (1326هـ) تهذيب التهذيب (ط1)، ج9، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.
11. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(1419هـ/ 1998م) تذكرة الحفاظ (ط1)، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
12. **الترمذي** (1409ه) العلل الكبير (ط1)، تحقيق: صبحي السامرائي وغيره، عالم الكتب– مكتبة النهضة العربية، بيروت.
13. الترمذي (د.ت) العلل الصغير (د.ط)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
14. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (1408هـ/ 1988م) البداية والنهاية (ط1)، تحقيق: علي شيري، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
15. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (د.ت) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (د.ط)، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
16. الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (1419هـ/1998م) فهرسة (د.ط)، تحقيق: محمد فؤاد منصو، دار الكتب العلمية، بيروت.
17. الإسعردي، تقي الدين أبو القاسم عُبيد بن محمد بن عباس (1409ه/1989م) فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي (ط1)، تحقيق: السيد صبحي السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.
18. وابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين (1423هـ/2002م) مقدمة ابن الصلاح (ط1)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت.
19. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي (1421هـ–2000م) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ط6)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
20. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (1424هـ/2003م)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ط1)، تحقيق: علي حسين علي، ج2، مكتبة السنة، مصر، مراتب التعديل والتجريح.
21. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (1426ه/2005م) سنن الترمذي (د.ط)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، دار الحديث بالقاهرة، مصر.
22. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (1407هـ/ 1987م) شرح علل الترمذي (ط1)، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، ج2، مكتبة المنار بالزرقاء، الأردن.
23. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (1392ه) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2)، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
24. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (1393ه/1973م)، الثقات (ط1)، ج9، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.
25. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،

عز الدين (د.ت)، اللباب في تهذيب الأنساب (د.ط)، ج1، دار صادر، بيروت.

26. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (1400هـ/ 1980م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ط1)، تحقيق: بشار عواد معروف، ج26، مؤسسة الرسالة، بيروت.

27. الذهبي (1382هـ/ 1963م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (ط1)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

28. اللقاني، إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، برهان الدين المالكي (1432هـ/2011م) بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل (ط1)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ج1، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن.

29. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (1971م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ط1)، تحقيق: إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت.

30. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (1406هـ/ 1986م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ط1)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ج3، دار ابن كثير، دمشق.

31. ابن حجر(1406هـ/1986م) تقريب التهذيب (ط1)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا.

32. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(د.ت) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (د.ط)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ج1، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

33. السيوطي (1424ه) قوت المغتذي على جامع الترمذي (د.ط)، رسالة الدكتوراة – جامعة أم القرى، ج1، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

34. ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله (1417هـ/1997م) عارضة الأحوذي (ط1)، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

35. الذهبي (1402هـ/1981م) سير أعلام النبلاء (ط1)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج13، مؤسسة الرسالة، بيروت.

36. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير(1417هـ/1997م) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (ط1)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

37. العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (1423هـ/ 2002م) شرح التبصرة والتذكرة (ط1)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

38. ابن عمار، شمس الدين محمد بن عمار بن محمد بن أحمد المصري المالكي (1432هـ/2011م) مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية (ط1)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة بصنعاء، اليمن.

39. الأنصاري، زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي (1422هـ/2002م) فتح الباقي بشرح

ألفية العراقي (ط1)، تحقيق: عبد اللطيف هميم وغيره، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

40. الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الهندي (1426هـ/ 2005م) فيض الباري على صحيح البخاري (ط1)، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

41. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (1430هـ/2009م) سنن أبي داود (ط1)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وغيره، ج5، دار الرسالة العالمية، بيروت.

42. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (د.ت) تهذيب سنن أبي داود (د.ط)، ج 5، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر.

43. العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي (1415ه/1994م) عون المعبود شرح سنن أبي داود (ط2)، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت.

44. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (1415ه/1994م) **حاشية ابن القيم:** تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (ط2)، (طبع مع عون المعبود)، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت.

45. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (1422هـ) صحيح (ط1)، ج2، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت.

46. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت)، صحيح (د.ط)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

47. إبراهيم مصطفى، وغيره (د.ت) المعجم الوسيط (د.ط) ج2، دار الدعوة، مصر المحروسة.

48. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (1995م) معجم البلدان (ط2) ج1، دار صادر، بيروت.

49. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (د.ت) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (د.ط) ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.